@ 72 @ فأما إذا تيقن أن الصواب والحق مع المعترض عليه وأن المعترض معاند عارف ببطلان قوله فإنه لا محل للمبالاة بل ينتظر بالمعترض العقوبة الدنيوية والأخروية فلهذا قال تعالى : ! 2 2 ! بل يحفظ عليهم أعمالهم ويجازيهم عليها وفيها وعيد للمعترضين وتسلية للمؤمنين | (145) ! 2 2 ! كان النبي صلى ا عليه وسلم من كمال حرصه على هداية الخلق يبذل لهم غاية ما يقدر عليه من النصيحة ويتلطف بهدايتهم ويحزن إذا لم ينقادوا لأمر ا فكان من الكفار من تمرد عن أمر ا واستكبر على رسل ا وترك الهدى عمدا وعدوانا فمنهم : اليهود والنصارى أهل الكتاب الأول الذين كفروا بمحمد صلى ا عليه وسلم عن يقين لا عن جهل فلهذا أخبره ا تعالى أنك لو ! 2 2 ! أي : بكل برهان ودليل يوضح قولك ويبين ما تدعو إليه ! 2 2 ! أي : ما تبعوك لأن اتباع القبلة دليل على اتباعه ولأن السبب هو شأن القبلة وإنما كان الأمر كذلك لأنهم معاندون عرفوا الحق وتركوه فالآيات إنما تفيد وينتفع بها من يتطلب الحق وهو مشتبه عليه فتوضح له الآيات البينات وأما من جزم بعدم اتباع الحق فلا حيلة فيه | وأيضا فإن اختلافهم فيما بينهم حاصل وبعضهم غير تابع قبلة بعض فليس بغريب منهم مع ذلك أن لا يتبعوا قبلتك يا محمد وهم الأعداء حقيقة الحسدة وقوله : ! 2 2 ! أبلغ من قوله : ولا تتبع لأن ذلك يتضمن أنه صلى ا عليه وسلم اتصف بمخالفتهم فلا يمكن وقوع ذلك منه ولم يقل ولو أتوا بكل آية لأنهم لا دليل لهم على قولهم | وكذلك إذا تبين الحق بأدلته اليقينية لم يلزم الإتيان بأجوبة الشبه الواردة عليه لأنه لا حد لها ولأنه يعلم بطلانها للعلم بأن كل ما نافى الحق الواضح فهو باطل فيكون حل الشبه من باب التبرع | ! 2 ! 2 إنما قال : أهواءهم ولم يقل دينهم لأن ما هم عليه مجرد أهواء نفس حتى هم في قلوبهم يعلمون أنه ليس بدين ومن ترك الدين اتبع الهوى ولا محالة قال تعالى : ! 22 ! | ! 2 2 ! بأنك على الحق وهم على الباطل ! 2 2 ! أي : إن اتبعتهم فهذا احتراز لئلا تنفصل هذه الجملة عما قبلها ولو في الأفهام ! 2 2 ! أي : داخل فيهم ومندرج في جملتهم وأي : ظلم أعظم من ظلم من علم الحق والباطل فآثر الباطل على الحق وهذا وإن كان الخطاب له صلى ا عليه وسلم فإن أمته داخلة في ذلك وأيضا فإذا كان هو صلى ا عليه وسلم لو فعل ذلك - وحاشاه - صار ظالما مع علو مرتبته وكثرة حسناته فغيره من باب أولى وأحرى | (146 - 147) ثم قال تعالى : ! 2 2 ! يخبر تعالى أن أهل الكتاب قد تقرر عندهم وعرفوا أن محمدا رسول ا وأن ما جاء به حق وصدق وتيقنوا ذلك كما تيقنوا أبناءهم بحيث لا يشتبهون بغيره فمعرفتهم بمحمد صلى ا عليه وسلم وصلت إلى حد لا يشكون فيه ولا يمترون لكن فريقا منهم -

وهم أكثرهم - الذين كفروا به كتموا هذه الشهادة مع تيقنها وهم يعلمون ! 2 2 ! وفي ضمن ذلك تسلية للرسول والمؤمنين وتحذير له من شرهم وشبههم وفريق منهم لم يكتموا الحق وهم يعلمون فمنهم من آمن [به] ومنهم من كفر [به] جهلا فالعالم عليه إظهار الحق وتبيينه وتزيينه بكل ما يقدر عليه من عبارة وبرهان ومثال وغير ذلك وإبطال الباطل وتمييزه عن الحق وتشيينه وتقبيحه للنفوس بكل طريق مؤد لذلك فهؤلاء الكاتمون عكسوا الأمر فانعكست أحوالهم | ! 2 2 ! أي : هذا الحق الذي هو أحق أن يسمى حقا من كل شيء لما اشتمل عليه من المطالب العالية والأوامر الحسنة وتزكية النفوس وحثها على تحصيل مصالحها ودفع مفاسدها لصدوره من ربك الذي من جملة تربيته لك أن أنزل عليك هذا القرآن الذي فيه تربية العقول والنفوس وجميع المصالح | ! 2 2 ! أي : فلا يحصل لك أدنى شك وريبة فيه بل تفكر فيه وتأمل حتى تصل بذلك إلى اليقين لأن التفكر فيه لا محالة دافع للشك موصل لليقين | (148) ^ (ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت